تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم وإن الله لهو العزيز الحكيم لا أحد يساويه
في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الألوهية فإن تولوا فإن الله
عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على أن التولي
عن الحجج والإعراض عن التوحيد إفساد للدين والاعتقاد المؤدي إلى فساد
النفس بل وإلى فساد العالم قل يا أهل الكتاب يعم أهل الكتابين وقيل
يريد به وفد نجران أو يهود المدينة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
لا تختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ألا نعبد إلا الله
أي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئاً ولا نجعل غيره شريكاً
له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضاً
أرباباً من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار
فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي أنه
لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله قال عدي بن
حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون
فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فإن تولوا عن التوحيد فقولوا
اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة أي فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم
أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل
إلى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج
بين أولاً أحوال عيسى وما تعاور عليه من الأطوار المنافية للإلهية ثم
ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما رأى عنادهم ولجاجهم دعاهم
إلى المباهلة بنوع من الإعجاز ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد
عاد إليهم بالإرشاد وسلك طريقاً أسهل وألزم بأن دعاهم إلى
ما وافق عليه عيسى والإنجيل وسائر الأنبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك
أيضاً عليهم وعلم أن الآيات والنذر لا تغني عنهم أعرض عن ذلك وقال
اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما
أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده تنازعت اليهود والنصارى
في إبراهيم وزعم كل فريق أنه منهم وترافعوا إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت والمعنى أن اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التوراة
والإنجيل على موسى وعيسى وكان إبراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى
بألفين فكيف يكون عليهما أفلا تعقلون فتدعون المحال ها أنتم
هؤلاء

هؤلاء جادلتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف
تنبيه نبهوا به على حالهم التي غفلوا عنها وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم
جملة أخرى مبينة للأولى أي أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم أنكم جادلتم
فيما لكم به علم مما وجدتموه في التوراة والإنجيل عناداً أو تدعون وروده فيه
فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين إبراهيم وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من
حماقتهم فقلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه وأنتم لا تعلمون وأنتم
جاهلون به ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً تصريح بما قرره من البرهان
ولكن كان حنيفاً مائلاً عن العقائد الزائغة مسلماً منقاداً لله وليس المراد أنه
كان على ملة الإسلام وإلا لاشترك الإلزام وما كان من المشركين تعريض
بأنهم مشركون لإشراكهم به عزيراً والمسيح ورد لادعاء المشركين أنهم على ملة
إبراهيم إن أولى الناس بإبراهيم إن أخصهم به وأقربهم منه من الولي وهو
القرب للذين اتبعوه من أمته وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم له
في أكثر ما شرع لهم على الأصالة وقرئ والنبي عطفاً على الهاء في اتبعوه وبالجر
عطفاً على إبراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لإيمانهم ودت
طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعماراً
ومعاذاً إلى اليهودية ولو بمعنى أن وما يضلون إلا أنفسهم وما يتخطاهم
الإضلال وما يعود وباله إلا عليهم إذ يضاعف به عذابهم أو وما يضلون
إلا أمثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا أهل الكتاب
لم تكفرون بآيات الله بما نطقت به التوراة والإنجيل ودلت على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وأنتم تشهدون أنها آيات الله أو بالقرآن وأنتم
تشهدون نعته في الكتابين أو تعلمون بالمعجزات أنه حق يا أهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وإبراز الباطل في صورته أو بالتقصير
في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء أي تلبسون الحق
مع الباطل كقوله عليه الصلاة والسلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق
بنبوة محمد ونعته وأنتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من
أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار أي أظهروا
الإيمان بالقرآن أول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون واكفروا
به آخره لعلهم يشكون في دينهم ظناً بأنكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)